بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الجمعة : 28/01/2011م **الشيخ الطبيب محمد خير الشعال**

سلسلة تربية الأبناء

الخطبة الثالثة: قواعد تربوية1

الحمد لله، الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا و سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدا، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله، وصفيه وخليله، خير نبي اجتباه، وهدى ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله ربنا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره، اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى أله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى وأحثكم وإياي على طاعته، فنحن قوم ذاهبون إلى دار ليس فيها إلا الحسنات والسيئات، إنه من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره.

فقدموا لأنفسكم فأنتم اليوم في دار عمل لا حساب فيها وغدا ماضون إلى دار حساب لا عمل فيها

ثم أستفتح بالذي هو خير:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: 6].

- قال سيدنا علي ﷺ: ﴿ قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ ﴾: أي علموا أنفسكم وأهليكم الخير.
- وقال مقاتل: هي أن يؤدب المسلم نفسه وأهله، فيأمرهم بالخير وينهاهم عن الشر.

- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**))[1].

- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَلَدًا مِنْ نَحْلٍ أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ**))[2].

هذه هي الخطبة الثالثة في سلسلة تربية الأبناء.

تحدثنا لماذا هذه السلسلة، ومقدمات في تربية الأبناء، وعنوان خطبة اليوم:

قواعد تربوية (1)

تقوم التربية الناجحة على قواعد وأسس تربوية مهمة جداً، والمأمول من كلِّ مربٍ مراعاتُها، فإن لم تُرْعَ القواعدُ نشأ البنيان على غير استقرار واتزان، وستعرض هذه الخطبة مع مجموعة خطب بعدها إلى عددٍ من هذه القواعد والأسس.

وقاعدة اليوم –وهي القاعدة الأولى–:

رفع الحرج

- أمر أبٌ ابنه أن يطلّق زوجته لأنها أخطأت معه، وإلا غضب عليه.

هذا الأب أوقع ولده في حرجٍ شديد، وضيّق عليه واسعاً، ولو أمره بتوجيهها وتنبيهها إلى أخطائها مع والده لكان أرحم وأحكم وأسلم.

- طَلَّق رجلٌ امرأته وخيّر أبناءه بين أن يكونوا معه ولا يَصِلوا أمهم، أو أن يكونوا مع أمهم ولا يريد صلتهم له.

هذا الأب أوقع بنيه في حرجٍ شديد وضيّق واسعاً، ولو أمرهم بأن يكونوا مع مَنْ شاءوا، ويصلوا الآخر لكان أتقى وأبقى.

- استأذنت بنتٌ –في المرحلة الإعدادية– أباها أن تذهب في رحلةٍ مع صديقاتها في آخر يومٍ من أيام الامتحان لتروّح عن نفسها، فمنعها خوفاً عليها وعليهن.

أرى لو أذن لها بالذهاب معهن بشرط اصطحاب والدتها معهن لكان أدفعَ للحرج وأبعدَ عن الضيق، ويحقق بذلك رغبتها بالترويح عن النفس مع صديقاتها، ورغبته بالأمان عليهن.

---

[1] () متفق عليه (البخاري 6618، مسلم 203)، عن معقل بن يسار ﷺ.

[2] () رواه الترمذي برقم: 1875، عن عمرو بن سعيد بن العاص.

- **فالقاعدة التربوية الأولى: رفع الحرج.**

أيها الإخوة:

الربُّ اسمٌ من أسماء الله تعالى، وهو مشتقٌ من التربية، وربُّ العالمين يربي العالمين ويؤدبهم بشرعه وفعله.

وقد درس علماء التشريع الإسلامي آيات القرآن كلها، وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم جميعها، ودرسوا أحكام الشريعة المستنبطة منهما، فوجدوا أن التشريع الإسلامي قائمٌ على أسس ثلاثة، سموها: "أسس التشريع الإسلامي"، أولها رفع الحرج.

والمراد برفع الحرج في الشريعة: أنه لا توجد مشقة تضيق بها الصدور، وتستنفذ الجهود في أوامر الشريعة ونواهيها، بل جاء الشرع لرفع الحرج.

- ✓ قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾، [سورة الحج: 78].
- ✓ وقال تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾، [سورة المائدة: 6].
- ✓ وقال عزوجل: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ﴾، [سورة النساء: 28].

وصح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(مَا خُيِّرَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ قَطُّ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا)**[1].

ومن هذا الباب – رفع الحرج – أُذِنَ للمصلي الذي لا يستطيع القيام في صلاة الفريضة لعلةٍ أن يصلي قاعداً، وللصائم الذي لا يستطيع الصيام لمرضٍ بالفطر ثم يصوم بعد شفاءه، وإن كان المرض مزمناً استُبدِل بالصوم كفارةُ إطعامِ مسكين، وأُذِنَ للمسافر بجمع الصلاة وقصرها، وأُذِن لمن لا يجد ماءً للوضوء بالتيمم.

هذا عن المراد برفع الحرج في الشريعة، أما المراد برفع الحرج في التربية – وهي قاعدة مهمة جداً – أن لا يشق المربي على أبنائه أو طلابه، ويضيّق عليهم بالأوامر والنواهي، بل المطلوب إذا رآهم في حرجٍ وضيق من أمرٍ من أوامره أو نهي من نواهيه أن يرفع عنهم الحرج، قال صلى الله عليه وسلم في مَعْرِض كلامه وتعليمه لنا كيف نعامل الخَدَم: **((إِنَّ إِخْوَانَكُمْ خَوَلُكُمْ جَعَلَهُمْ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ مَا**

---

[1] () رواه البخاري، برقم: 3296، ومسلم، برقم: 4295، عن السيدة عائشة ﵂.

يَغْلِبُهُمْ فَأَعِينُوهُمْ))[2]، والحديث وإن كان حديثاً عن الخَدَم، فإنه يصح مع الأجراء، ومع الأبناء، ومع الطلاب.

المأمول في التربية ألا تكلّف مَنْ تربيه ما لا يطيق، وما يشق عليه ويعسر، وإذا وقع الأمر فأعنه، فالأب الذي يخيّر ابنه بين طلاق زوجته وبين رضا أبيه – كما جاء في أول الخطبة – أوقع ابنه في حرج شديد، ومثلُهُ من خيّر أبناءه بين أبيهم وأمهم.

وليعلم كلُّ من أمر الآخرين بما يشق عليهم ويُحْرِجُهم ويوقعهم في ضيقٍ، أن المأمور بهذا إما أن يُتْلِفَ نفسه أو يُتْلِفَ الأمر الذي أُوكل إليه أن ينفجر في وجه من أمره، وما حال ما نسمع من ضِيْق الناس وانفجارهم في بلادٍ مجاورة إلا من هذا الباب: "رفع الحرج".

في ختام هذه الخطبة، ما المطلوب منك؟

1- **لا تُوقع ابنك في حرج، بأن تأمره ما يشق عليه ويعسر، أو تنهاه عن ذلك.**
2- **إذا رأيت ابنك وقع في حَرَجٍ وضيقٍ، فابحث له عن مخرج.**

عبثَ ابنٌ في مال أبيه، وتَصَّرف به على غير وجه الشرع والعقل والأدب، ولما عاد إلى رشده عَلِم سوء صنعه وفَعْلَتِه، وكان قد غاب عن دار أبيه أياماً، وصار بين أمرين أحلاهما مُرٌّ: إما أن يبقى بعيداً عن دار أبيه حتى يستطيع العمل وجمع مبلغٍ مساوٍ للمبلغ المفقود ليرده إلى أبيه، وإما أن يعود إلى بيت أبيه المتألم من فَعْلَةِ ولده يعتذرُ إليه، ويعمل على جمع مالٍ عن عمله بدل المال المفقود.

وتوسط عند أحدِ الفضلاء للحديث مع والده، فما كان من هذا الأب الحكيم المربي، وقد رأى أن ولده علم خطأه وتعلَّم درساً قاسياً، إلا أن قال للرجل الوسيط أمام ولده: (لقد خسرت مالاً، ولا أريد أن أخسر معه ولدي، فليرجع وليعمل)، فإذا رأيت ابنك وقع في حرجٍ وضيقٍ فابحث له عن مخرج.

3- **ضع نفسك مكان ابنك قبل أن تأمره بأمرٍ أو تنهاه عنه، وانظر هل يعسر عليك الأمرُ أم لا؟**
4- **إذا أمرتَه بأمرٍ فأعنه عليه، وإذا نهيته عن أمرٍ فاقترح بديلاً عنه.**

---

[2]() رواه البخاري، برقم: 2359، ومسلم، برقم: 3140، عن السيدة عائشة ﵂.

وهـذا من حكمـة الشـرع الحنيف في تربيتـه المسـلمين، فعنـدما نهى الله عن الـزنى أباح الـزواج، وعنـدما نهى عن الربا أباح البيع والشراء، وعنـدما نهى عن المسكرات أباح سائر المشروبات...، ولم ينهَ الله تعالى عن سوءٍ إلا أباح غيره من الخيرات.

فإذا نهيت ابنك عن صحبة صديقه السيء فاقترح له أصدقاء خيرين، وإذا منعته عن الذهاب إلى رحلة سياحية معينة، فهيئ له نزهةً بديلة.

أيها الإخوة:

القاعدة التربوية الأولى، والمهمة جداً في التربية: "رفع الحرج".

والحمد لله رب العالمين